تطور النضال النقابي في تونس ما بين 1924-1956. من خلال نشاط جامعة عموم العملة التونسية والاتحاد العام التونسي للشغل.

محمد بوطيبي، جامعة يحي فارس المدية

الملخص :

عرفت المملكة التونسية خلال العقد الثاني من القرن العشرين تطور النضال السياسي والاجتماعي، تجسد النضال السياسي في نشاط الحزب الحر الدستوري الذي تزامن مع نضال الحركات النقابية التي تجسدت في جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل. فالحركة النقابية التونسية اعتمدت عليها الطبقة العمالية للدفاع عن حقوقها ومطالبها المشروعة ، والمهضومة من طرف أصحاب المؤسسات الإنتاجية، وقد اعتمدت هذه الوسيلة المشروعة من طرف العمال التونسيين خلال الفترة الاستعمارية، بالانضواء تحت النقابات الفرنسية، لكن مع مرور الزمن أدركت ثلة من التونسيين بضرورة تشكيل نقابات تونسية مستقلة تهتم بمشاكلهم الجوهرية. وسأحاول خلال هذا العمل التركيز على جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام التونسي للشغل أنموذجا للنقابات الوطنية المستقلة التي اهتمت بالقضايا العمالية والوطنية التونسية.

الكلمات المفتاحية :

الحركة النقابية التونسي؛, جامعة عموم العملة التونسية؛ السيجيتي؛ الاتحاد العام للشغل التونسي؛ الحزب الحر الدستوري؛ النضال ؛ علي الحامي ؛ فرحات حشاد.

مقدمة:

تعتبر الحركات النقابية المنابر الاجتماعية التي تعتمد عليها الطبقات العمالية للدفاع عن حقوقها ومطالبها المشروعة، المهضومة من طرف أصحاب المؤسسات العمالية، وقد اعتمدت هذه الوسيلة المشروعة من طرف العمال التونسيين خلال الفترة الاستعمارية، بالانضواء تحت النقابات الفرنسية، لكن مع مرور الزمن أدرك ثلة من التونسيين ضرورة تشكيل نقابات تونسية مستقلة تهتم بمشاكلهم الجوهرية. وسأحاول خلال هذا العمل التركيز على الاتحاد العام التونسي للشغل أنموذجا للنقابات الوطنية المستقلة التي اهتمت بالقضايا العمالية والوطنية التونسية.

لما كانت القوانين الفرنسية تسمح للعمال التونسيين بتأسيس الحركات النقابية، منذ صدور قانون 21 جوان 1865، والمرسوم المعدل والمكمل له بتاريخ 22 ديسمبر 1888 م. والمرسوم المكمل بتاريخ 9 مارس 1894، الذي نصّ

على تنظيم وممارسة العمل النقابي.[1] لكن رغم ذلك كانت السلطات الفرنسية تتحفظ في مثل هذه المسائل، وتربطها بالجانبين السياسي والأمني، وكانت تعتبر أن الغرض من تأسيس النقابات هو النشاط السياسي. وفي هذا الصدد أصدر م. بيو لائحة يتوعد فيها بالتهديد كل من سولت له نفسه تأسيس جمعيات ونقابات في البلاد التونسية. [2] كما نص مرسوم الباي المؤرخ في 16 نوفمبر 1932 في فصله الأول على حرية العمل النقابي، حيث:" يجوز تكوين نقابات أو جمعيات مهنية بصورة حرة ودون استرخاص الحكومة من طرف أشخاص يعملون في التراب التونسي منذ عام على الأقل ولهم نفس المهنة أو مهن متقاربة أو مهن مترابطة" كما يجيز المرسوم حرية الاتحاد فيما بين النقابات العمالية في المملكة التونسية.[3]

أولا: جامعة عموم العملة التونسية:(C.G.T.T):

تأسست هذه الجامعة في خضم الإضرابات التي عرفتها الحركات العمالية التونسية، منها إضرابات عمال ميناء بتونس العاصمة بتاريخ 14 أوت 1924 م بتأطير لجنة من المضربين تولد عنها نقابة مستقلة في 17 أوت 1924 م* [4]، في نفس اليوم ظهرت عدة إضرابات في مدن بنزرت والشمال التونسي. وظلت تلك الإضرابات العمالية متواصلة، ففي شهر سبتمبر 1924 فقدت الحركة العمالية في بنزرت مجموعة من العمال بسبب الإضراب الذي استطاعت من خلاله الحركة العمالية تحقيق جزء من مطالبها، مما انجر عنها تأسيس مجموعة من النقابات بداية من شهر أكتوبر 1924،[5] مثل جامعة عموم العملة التونسية التي تأسست في 19 جانفي 1925 م، ومن أشهر قياديها محمد علي الحامي، المختار العياري، البشير بودمغة والفرنسي فينيدوري.[6]

لأول مرة في التاريخ التونسي التف العمال حول قيادة قومية مخلصة لهم، بعدما كانوا أشتاتا، فخرجوا من عزلتهم وأرسلوا نوابهم إلى العاصمة للتشاور مع محمد علي الحامي، رغم معارضة الاشتراكيين والسلطات الفرنسية ضد مشروع المؤسسة النقابية الناشئة، حيث اجتمع محمد علي الحامي ورفاقه في نهج الجزيرة مع العمال لينظروا في تأسيس جامعتهم النقابية، وانتخبوا لرئاسة هذه الجلسة هيئة تضم محمد علي الحامي، الطاهر حداد، أحمد توفيق

---

[1] M.R.E, loi du 22 décembre 1888 sur les associations syndicales, 22-12-1888. B:265, DOS:1, F:35-41.

[2] عبد الرحمان الصنادلي « مرتبات الموظفين» ،ج الزهرة ، تونس: ع 93 ، السنة 11 ،14-02-1909م/ 23 محرم 1327هـ ، ص1.

[3] عبد السلام بن حميدة، الحركة النقابية للشغيلة بتونس 1924-1956. ج 1، تر: جماعية،(ط 1، دار محمد علي للنشر، تونس، 1984)، ص 82.

[4]* يذكر الحامي بأن تأسيس الحركة النقابية في ديسمبر 1924.أنظر:نفسه، ص 48. وشارل أندري جوليان تاريخ 12 أكتوبر 1924 باسم الجامعة العامة للشغل CGT. أنظر **شارل أندري جوليان**، المعمرون وحركة الشباب التونسي. تعريب. محمد مزالي والبشير بن سلامة، (ط 1، تونس: الشركة التونسية للنشر والفنون الجميلة، د ت)، ص 97.

[5] عبد السلام بن حميدة، الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس 1924-1956. ترجمة محمد بسباس وآخرون، ج1، (ط 1، تونس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، 1984)، مرجع سابق، ص 61.

[6] C.D.N.UNION REGIOALE PARISIENNE C.F.D.T, s.d. B-5-44 N° 8.

المدني والمختار العياشي، الذي تمخض عنه تأسيس الحركة النقابية التي انبعثت يوم 3 ديسمبر 1924 م باسم جامعة عموم العملة التونسيين.[7]

لقد ساهم أحمد توفيق المدني في تأسيس جامعة عموم العملة التونسيين مع بعض الأصدقاء أمثال الطاهر صفر والطاهر الحداد وأحمد الدرعي ومحمد علي الحامي.[8] كما عمل على تقريب الحركة العالية من الحزب الحر الدستوري وذلك بجمع الأموال للحركة، ومنها مبلغ 5000 فرنك من صندوق الحزب على حد قوله : "ومد الشيخ المنستيري يده إلى محفظة أوراقه ودفع خمسة آلاف فرنك، فتناولتها شاكرا، وخرجت مسرعا أمتطي الرتل الحديدي إلى باب السويقة، ودخلت مكان الاجتماع وكان مكتظا بجموع طائلة من مختلف طبقات العمال، فدفعت أمامهم للأخ محمد علي الخمسة آلاف وتعالى هتاف القوم للحزب الدستوري "[9]، وأصبح عضوا فاعلا في جامعة عموم العمال التونسيين، يتردد باستمرار على اجتماعاتهم ويخطب فيهم. ولذلك اتهمت اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري بمساندتها للحركة النقابية من طرف إدارة الحماية الفرنسية، التي أمرت يوم 5 جانفي 1925 م بتفتيش منزل أحمد توفيق المدني ومسكن محمد علي الحامي.[10]

إن استمرار الإضرابات في البلاد، دفع بالسلطات الفرنسية القبض على قادتها في 5 فيفري 1925 م، ومن أبرز قادتها محمد علي الحامي، حيث اعتمد هذا الأخير على فكرة التعامل باللغة العربية واستعمال الآيات القرآنية في مخاطبة العمال، وقد صممت بطاقة الانخراط عليها عامل يحطم القيود وهو يرتدي البرنس، تأكيدا على الهوية الوطنية[11]، غير أن السلطات الفرنسية قامت بحملة ضد عناصر النقابة بتهمة التآمر على أمن الدولة، ومحاكمتهم[12] بتاريخ نوفمبر 1925.[13]

إن جامعة عموم العملة التونسيين لقيت معارضة من نقابة الس.ج. ت وعلى رأسها النقابي جوهو، الذي أرسل في 24 أكتوبر 1924 رسالة سرية لكل من المقيم العام في تونس والرئيس الفرنسي إدوارد هيريو يحرضها ضد نقابة محمد علي الحامي وشل نشاطها. كما لقيت الجامعة تحاملا كبيرا من طرف الاشتراكيين، وأعضاء الحزب الدستوري الحر التونسي والإصلاحيين. والس.ج. ت (الكنفدرالية العامة للعمال التونسيين)، التي كانت نهايته إلقاء القبض على زعيم جامعة عموم العملة التونسيين في 25 مارس 1926. ونفيه خارج البلاد مدة عشر سنوات كاملة.[14]

---

[7] أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية، الطاهر حداد ونضال جيل. (ط 3، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985) ، ص 187.

[8] محمد علي الحامي، محمد علي وحوادث الأيام. (ط 1، تونس : مطبعة الإتحاد العام للشغل التونسي، 1985)، ص 73.

[9] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، في تونس 1905-1925، ج 1، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973، ص 286،287.

[10] أحمد خالد، مرجع سابق، ص 193.

[11] بن حميدة، مرجع سابق، ص 61، 62.

[12] تم محاكمته في قضية فيندوري، بالنفي مدة 10 سنوات من طرف محكمة الجرائم التونسية.أنظر:
C.D.N ; G-1-8 ; note sur la confédération générale des travailleurs tunisiens ; 26-06-1936.

[13] C.D.N,UNION REGIOALE PARISIENNE C.F.D.T, s.d. B-5- 44; N° 2,3.

[14] Ibid., B-5-44 ;N° 2.

بعد إدانته من طرف محكمة الجرائم بالتآمر ضد أمن الدولة بمعية خمسة مناضلين آخرين، هم الاشتراكي الفرنسي فيندوري، مختار العياري، محمد الكبادي، محمد الشموسي، علي القروي.*[15]

بعد فترة زمنية وبموجب المرسوم الفرنسي المرخص لتأسيس الحركات النقابية، تم بعث جامعة عموم العملة التونسيين. من طرف بلقاسم القناوي أحد رفقاء محمد علي الحامي*[16]، هذا الأخير الذي لم يكن محل قبول من طرف الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، لأنه حاول فرض المناضل الهادي نويرة في الحزب وجامعة الموظفين التي أسسها الحزب عام 1936، لكن دون جدوى بسبب ميل المناضلين من العمال لصالح النقابي بلقاسم القناوي.[17]

في الحقيقة أن الهادي نويرة ورفاقه استطاعوا افتكاك جامعة عموم العملة

التونسيين من القناوي وصحبه، وبذلك أصبحت جامعة عموم العملة التونسية التي تسير تحت اتجاه الحزب الدستوري التونسي الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة. وذلك خلال المؤتمر المنعقد بتاريخ 29 جانفي 1938 بشارع باب السويقة، تحت رئاسة أحمد قرين، وبالإجماع تم تشكيل المكتب العام لجامعة عموم العملة التونسيين من العناصر الآتي ذكرهم: الهادي نويرة: أمينا عاما، مفتاح فرحات: كاتب مساعد، محمد الصيد: مكلف بالمالية، محمد مكتوف: مساعد مالي، باش طبجي: عضو مراقب.[18] تلك الجامعة التي لم تدم طويلا، وتم حلها بعد أحداث 9 أفريل الشهيرة 1938 في تونس.

ثالثـــا : الاتحاد العام التونسي للشغل :

تأسست هذه النقابة العمالية المستقلة المعروفة باسم **الاتحاد العام التونسي للشغل** بتاريخ 20 جانفي 1946، بزعامة المناضل فرحات حشاد[19]، وبانضمام جامعة الموظفين التابعة للحزب والتي كانت تنطوي تحتها نقابات عمال

* يذكر شارل اندري جوليان أن سبب حل النقابة هو إضرابات الجامعة مابين ديسمبر 124جانفي 1925، وإقدام التونسيين على تعنيف العمال الأوروبيين مما جعل السلطات الفرنسية توجه اصابع الاتهام للنقابين الشيوعيين عناصر الحزب الحر الدستوري معا. انظر شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 97.

[15] C.D.N ; D : B-1-8 ; P.2.

[16] محمد علي الحامي (1896- 1928): ولد محمد علي بن مختار بجامة قابس التونسية، من أب مزارع أ انتقل إلى لبيبا حيث عمل سائقا عند أنور باشا، كما سافر إلى الشرق الأوسط، انتقل محمد علي إلى ألمانيا عام 1621 ودرس علم الاقتصاد في أحد جامعاتها، وبعد عودته لتونس، أسس جامعة عموم العملة التونسيين، حول الموضوع أنظر : ابن حميدة، مرجع سابق، ص 62. وكذلك:

C.D.N, B-5-44 N° 8. UNION REGIOALE PARISIENNE C.F.D.T. s.d.

[17] Ibid., B-5-44 N° 2,3.

[18] C.D.N ; d :b-1-8 ; le directeur de la sûreté publique ... ; p.4.

[19] فرحات حشاد من مواليد 2 فيفري عام 1914 م بقرية العباسية بقرقنة الصفاقسية . كان أبوه صياد سمك في أسرة فقيرة. التحق فرحات بالمدرسة الابتدائية، وحصل على الشهادة الابتدائية، انتقل بعدها إلى مجال الشغل بمدينة سوسة،حيث أكمل تكوينه المعرفي

العدالة البريد والتعليم. فكان الاتحاد بمثابة الوريث لجامعة عموم العملة التونسيين[20]، فقد تبنى الإتحاد انشغالات واهتمامات العمال التونسيين من خلال القيام بمجموعة من الإضرابات بغية المطالبة بتحسين أجور وأوضاع العمال، كما حدث في 4 أوت 1947، التي راح ضحيتها العديد من العمال التونسيين، وجرح 150 عامل، وتوقيف حوالي 500 عاملا عن الشغل. وإضرابات فلاحي الجهات الشمالية في 21 أكتوبر 1951، وإضراب الاتحاد في 29 نوفمبر 1951. [21]

لقد ضم الإتحاد عمالا من مختلف القطاعات، فخلال انعقاد المؤتمر القانوني الثاني الذي أشرف عليه الاتحاد الجهوي لمدينة تونس مابين 21/19 ديسمبر 1947، تم إحصاء ثمانية وستون نقابة مختلفة تنتمي للاتحاد ، تنتسب لقطاعات الفلاحة، التجارة، الصناعة والوظائف العامة والحرة. التي تم تأسيسها بين عامي 1946/ 1947.[22]

ظل فرحات حشاد على رأس الاتحاد[23] رفقة مجموعة من المناضلين يمثلون مختلف الفروع والأنشطة العمالية [24]، وتم انتخاب اللجنة الإدارية من طرف 590 نقابيا، أفضت إلى النتائج التالية: فرحات حشاد رئيسا، يساعده في اللجنة الإدارية نوري بودالي، الحبيب بن عاشور، بشير بن إبراهيم، عبد الواحد دخيل، صالح بولكباش، طاهر بورصالي، الطاهر عميرة، محمود خياري، الصادق الشيبي، بشير بلاشي، طاهر بن سعيد، سالم شافي، أ التليلي، الحبيب بن غزية، عمر الرياحي، إسماعيل بن ظريف، أحمد عمارة، طاهر خذر، أحمد بن علونة.[25]

1 استقطاب الاتحاد العام للشغل التونسي:

لقد كان الاتحاد مؤسسة نقابية مستقلة خاصة بالتونسيين فقط، مقارنة بالنقابات العمالية المعاصرة له في نهاية الأربعينات من القرن الماضي، فحسب الإحصائيات الرسمية، فإن الاتحاد كان يضم في صفوفه 74000 مناضلا تونسيا من ضمن مجموع 96000 تونسيا منخرطا في مختلف النقابات الأخرى أي ما يعادل نسبة 77.08 %، أي 4/3 من الموظفين التونسيين، والمتمثلة في الاتحاد، إ.س.ت.ت (الاتحاد النقابي للعمال التونسيين)، الذي كان يضم حوالي 17000 عاملا تونسيا، أما نقابة C.G.T.F.O فكانت تضم 5000 عامل تونسي، في الوقت الذي ضمت النقابات الثلاثة الأخيرة 20500 منخرطا من الأوربيين، دون أن ينتمي أي أوربي إلى الاتحاد العام للشغل التونسي.

والثقافي والسياسي بالمطالعة والقراءة والعمل النقابي.اضطر بعد وفاة والده الي ترك المدرسة والعمل لدي إحدى شركات النقل البحري في مدينة سوسة التونسية. ومنذ البداية بدأ في تكوين نواة اتحاد العمال، اضطر لترك وظيفته بسبب هذا النشاط في عام 1939 م. أسس الاتحاد العام التونسي للشغل 1946، وظل يناضل فيه حتى اغتياله في 5-12-1952.للمزيد عن حياته . أنظر: عبد السلام بن حميدة، مرجع سابق، ج2، ص 8، 19.

[20] أنظر خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا المسلمين، ص 2.

[21] C.D.N, Op.cit., B-5-44 N° 4.

[22] C.D.N, المؤتمر القانوني الثاني للاتحاد العام للشغل التونسي21 -12- 194. B-3-40 N° 4. .

[23] بقي إلى غاية 5 ديسمبر 1952، عشية اغتياله من طرف عصابة اليد الحمراء.

[24] ** خلال مؤتمر الوطني السنوي للاتحاد سنة 1947، الذي دامت جلسته ثلاثة أيام والذي أشرف على رئاسته الشرفية الشيخ الفاضل بن عاشور . I.S.H.M.N.T , A.Q.O, congrée annuel de L.U .G.T.T-annexe ,30-12-1947. B : 609,Dos: 180 ,F: 264

[25] Ibid., B: 609,Dos: 180 ,F: 264.

لقد استحوذ الاتحاد العام للشغل التونسي على نسبة كبيرة الموظفين المنخرطين في النقابات الناشطة في تونس، باستحواذه على 74000 منخرطا من عموم المنخرطين في النقابات البالغ عددهم 116000 منخرطا من الأوربيين والتونسيين. بنسبة 63,79 % من مجموع العمال المنخرطين في كل النقابات الموجودة في القطر التونسي.[26]

فالعمال التونسيون أدركوا أهمية الانخراط في المؤسسات النقابية للدفاع عن حقوقهم الاجتماعية من أجور، وشروط العمل، والتنظيمات النقابية الفعالة التي تتماشى مع المصلحة الحقيقية للعمال التونسيين. لذلك فضلوا الانخراط في الاتحاد العام التونسي للشغل، وبدرجة أقل U.S.T.T (الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي) وC.G.T.F.O، بينما لم ينخرط التونسيون في النقابة الفرنسية الكنفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين (C.F.T.C) كما يبينه الجدول التالي:

النقابة / العدد	الأوربيون	التونسيون	المجموع
U.S.T.T***	9000	17000	26000
U.G.T.T	-	74000	74000
C.G.T.F.O	8800	5000	13800
C.F.T.C	2700	-	2700
المجموع	20500	96000	116500 [27]

إن النضال النقابي انتشر بشكل كبير في المملكة التونسية، ومس مختلف أسلاك الشغل من موظفين عموميين في الإدارة والأعوان وحتى الأعمال الحرة، حيث التوعية النقابية لدى العمال من جهة ومن جانب أخر نلاحظ هيمنة الاتحاد العام التونسي للشغل على العمال التونسيين في مختلف القطاعات، كما يبينه الجدول الآتي:

نقابة/ العمال	يوميون وقطاع لخاص	موظفي وأعوان الإدارة	قطاع الزراعة
UGTT	48000	14600	11400
USTT	11000	4500	1500
CGT-FO	4500	500	-
المجموع	63500	19600	12900 [28]

[26] I.S.H.M.N.T , A.Q.O, La Situation Syndicale actuelle, s.d ,B: ,609Dos: 181, 167 ,F: 111

***تحولت س.ج.إلىUSTT بعد مؤتمر 27/26 أكتوبر 1946، بعد فشل مساعيها في الوحدة مع اتحاد ع ت ش . أنظر: عبد السلام بن حميدة، مرجع سابق، ج 2، ص 61.

[27] Ibid. ;B : 609,Dos: 181, ,F:123.

[28] Ibid ,F:116.

إن النشاط النقابي امتد إلى مختلف المدن الساحلية والجنوبية التونسية، في تونس العاصمة الكاف، قفصة وسوسة وغيرها، والجدول التالي يبين توزيع قائمة المنخرطين في الولايات التونسية:

المنطقة/ اسم النقابة	USTT	UGTT	CGT-FO	المجموع
تونس وضواحيها	4200	13800	600	18600
بنزرت وفيري فيل	4000	3200	4000	11200
سوسة	4300	15600	-	19900
صفاقس	700	8800	100	9500
قفصة	3000	8500	-	11900
قابس	600	20300	-	20900
الكاف	200	3800	-	4000
المجموع	17000	74000	5000	96000 [29]

فمن خلال الجدول نلاحظ أن الانخراط النقابي بالنسبة للعمال التونسيين في مختلف النقابات كانت أكثر في ولايات : قابس، سوسة، قفصة، وتونس، حيث يكثر عمال الموانئ والإدارة في المدن الساحلية، بينما قفصة يكثر فيها عمال المناجم. إن عملية الانخراط اقتصرت خاصة على الاتحاد في مختلف الولايات التونسية. وتشير التقارير الأمنية الفرنسية أن الاتحاد العام للشغل التونسي قام بتجميع حوالي 1000 مناضل تونسي في الاجتماع المنعقد بتاريخ 5 أكتوبر 1947، في الوقت الذي ذكرت البرقية الأولى 1909 حوالي 5000 مناضل في العاصمة التونسية.[30]

2 . النضال السياسي للإتحاد العام للشغل التونسي:

لقد وجد الاتحاد نفسه مرغما على التحالف مع البرجوازية التونسية التي رفعت شعار الاستقلال، بقول أحد عناصره :" إن العلاقات مع حزب سياسي طبيعة باعتبار أنه يمثل جماهيرا مدعوة لمقاومة الاستعمار".[31] إذ لم تتوقف اهتمامات مناضلي الاتحاد العام للشغل التونسي عند القضايا الاجتماعية، بل مست الجوانب السياسية[32] وفضح السياسية الفرنسية، حيث استغل المناضل فرحات حشاد مجزرة هنشير النفيضة[33] المرتكبة في حق الفلاحين

[29] I.S.H.M.N.T , A.Q.O, opcit ; F:113.

[30] I.H.S.M.N.T ;M.R.E ; B :595 ; D1/27 ;(mouvement national tunisien) ;F ;88

[31] عبد السلام بن حميدة، مرجع سابق، ج 2، ص 36.

[32] رغم أن قانونه التأسيسي ينص على عدم الخوض في المسائل السياسية والاجتماعية.حول الموضوع أنظر: I.H.S.M.N.T: ;M.R.E ; B :609 D ;(Tunisie 1944-4949-travaille syndicats) ;181 ;F ;108

[33] تشير بعض الكتابات أن الاتحاد ع ش ت هو المسؤول عن هذا الإضراب .أنظر: .P.4 ; B-5-44 : D ;C.D.N.

المضربين بتاريخ 21 نوفمبر 1950 من خلال المقال الذي كتبه في جريدة الحرية بتاريخ 1950/11/26 تحت عنوان الحق يؤخذ ولا يعط معبرا على ضرورة الوحدة والاتحاد بين التونسيين.[34]

لقد تطرق المناضل النقابي فرحات حشاد إلى ضرورة المقاومة من خلال ما نشره في جريدة الحرية، بعنوان :" المقاومة" بتاريخ 6 مارس 1950، [35] والذي ردد فيه عبارات المقاومة، نقاوم، يقاوم الشعب التونسي. وذلك بمقاومة النظم السياسة الفرنسية المسلطة على الأمة التونسية. وأشهر حشاد لواء المقاومة، بقوله : نقاوم التيار الاستعماري الذي يريد الاستحواذ على ما بقي بأيدينا حتى يصبح كلنا في حالة البؤس نعيش. ونقاوم الفكرة الاستعمارية التي تجعل منا اليوم شعبا يتقهقر..." نقاوم فكرة التفوق العنصري... ونقاوم فكرة والخمول والاستسلام... ونقاوم كل من يريد الاعتداء علينا في حقوقنا وسلب أمتنا..."[36] هذا وقد ألف المناضل فرحات حولية موسومة ب" مشاكل اجتماعية في تونس" تم توزيع على النقابات العالية لاسيما النقابة الاتحاد العالمي للنقابات الحرة، يفضح فيه بشدة الواقع السياسي والإداري الفرنسي في تونس[37].

لشدة إيمان فرحات حشاد بالاستقلال الوطني فإنه استقال* من الاتحاد النقابي العالمي (F.S.M)[38] المساند للحركة الاستعمارية، لينضوي تحت الاتحاد العالمي للنقابات الحرة (S.I.S.L) ، قصد رفع القضية التونسية إلى هيئة الأمم المتحدة للمطالبة بالاستقلال التونسي.[39] فالاتحاد منذ الوهلة الأول من تأسيسه كان يطمح في الانضمام للاتحاد النقابي العالمي، لكن خلال شهر جويلية 1949 أصبح عضوا رسميا في الجامعة الدولية، لكنه مافتئ أن انسحب منها، خلال قراره التاريخي المنبثق عن المؤتمر الرابع للاتحاد 29-30 أكتوبر 1951 الذي قرر الانسحاب من الجامعة والانضمام للنقابة الدولية الحرة بأغلبية 287 صوت مقابل 36 صوت معارض.[40] بحيث تخوفت السلطات الأمنية الفرنسية من ذلك الإجراء، خوفا من قيام فرحات حشاد بحملة مشينة ضد السياسة الفرنسية في التونسي أمام الرأي العالمي.[41]

---

[34] - خالد أحمد، الزعيم فرحات حشاد بطل الكفاح الاجتماعي والوطني، شهيد الحرية حياته ونضاله وفكره وكتاباته. (ط1، مطابع الشانز إليزي، تونس: 2007). ص 137، 138.

[35] نفسه، ص 140.

[36] خالد أحمد، الزعيم فرحات حشاد نفسه، ص 142،141.

[37] مؤسسة فرحات حشاد، أرشيف هولاند، UGTT/ NEO DOSTEUR 23-04-1952-P4.

* يعتبر البعض أن أسباب الاستقالة من الاتحاد النقابي العالمي : هي عدم اهتمامها باستقلال الدول المستعمرة، خدمة الحزب الشيوعي السوفيتي، رفت النقابات اليوغسلافية منها، بعد الخلاف اليوغسلافي السوفيتي، وأسباب أخرى . حول الموضوع. أنظر: عبد السلام بن حميدة، مرجع سابق، ج 2، ص ص 110-132.

[38] يذكر حشاد أن الغرض من انضمامه للحركة النقابية الدولية من أجل بناء مستقبل السلم والعدالة في بلد يكافح من أجل الحرية ضمن الأممية الكبرى لمنظمة الشغالين .أنظر : م .ت .ق، ملف ب-5-44، ص 3.

[39] سعد توفيق عزيز البزاز، " العلاقات الخارجية للاتحاد العام للشغل التونسي 1946-1956 "، مج كلية التربية الأساسية، ع 12، جوان 2013، ص 20.

[40] C.D.N ;D : B-5-44 ; P.4.

[41] مؤسسة فرحات حشاد، أرشيف هولاند، UGTT/ NEO DOSTEUR 23-04-1952-P4.

لقد عرفت الفترة الواقعة مابين شهري جويلية وديسمبر 1951 نشطات سياسية قام بها فرحات حشاد باسم الاتحاد في ميلان، سان فرانسيسكو، وبروكسل من جهة، تزامنت مع النشاط الذي قام به الحبيب بورقيبة باسم الحزب الحر الدستوري في أمريكا، والوزارة التونسية في العاصمة الفرنسية باريس قصد لفت الرأي الدولي للقضية التونسية .[42]

إن نضال لعناصر الاتحاد لم يهتم بالمطالب الاجتماعية التونسية فقط، بقدر ما طالب بالتحرر والكفاح التي ظل يرددها الزعيم فرحات حشاد ليس في تونس فقط، بل حتى البلدان المغاربية كما جاء في المؤتمر الثالث للإتحاد عام 1949 : "إن نجاح حركتنا لا يمكن أن ينتهي إلا متى ما حصلت الطبقة العاملة الشقيقة على حقوقها وأن هذه الحقائق تجعلنا نهتم بكل ما يلاقيه إخواننا العمال في المغرب والجزائر من عراقيل ومظالم فضلا عما يربطنا بهم من علاقات أخوية وتضامن في العمل والكفاح الذي نريد بفضله التحرر من جميع أنواع العبودية والاستبداد والاستعمار" .[43]

لقد بينت الوثائق الأمنية الفرنسية النشاط السياسي المكثف للإتحاد وزعيمة فرحات حشاد، لدرجة رفض منحة تأشيرة السفر خارج الأراضي التونسية، لحضور مؤتمر السيزل (S.I.S.L) المزمع عقده في شهر جوان 1952 في برلين الألمانية، واجتماع البيت B.I.T في مدينة جنيف السويسرية، بحجة ممارسة فرحات حشاد لمهام سياسية متعلقة بالقضية الوطنية التونسية. وليست نقابية، خاصة بعد المحادثات السياسية التي ربطته بمكتب السيزل في العاصمة بروكسل، والتي أدت إلى الأوضاع الظرفية بعد عودة فرحات حشاد من الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع ماي 1952.[44]

وأكد فرحات حشاد للباي التونسي بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية في شهر ماي 1952 على استمرار أعمال العنف والعصيان في البلاد التونسية، التي اندلعت استجابة لنداء الحبيب بورقيبة في منتصف جانفي1952، بغية تحقيق أهدافها في هيئة الأمم المتحدة.[45] كما أشارت بعض التقارير السياسية للتلاحم الذي حصل بين الاتحاد العام التونسي للشغل والحزب الحر الدستوري الجديد في مطلع 1952، من خلال التقرير الذي رفعة المقيم العام الفرنسي في تونس إلى روبار شومان (ROBERT SHUMAN) وزير الخارجية الفرنسية. مشيرا للنشاط الذي كان يقوم به الأمين العام للإتحاد على المستوى الداخلي والخارجي [46] ودوره في استقطاب عناصر U.S.T.T، وأن التجمعات النقابية ما هي إلا تغطية للنشاطات السياسية، وكثيرا ما كانت الإضرابات السياسية التونسية من تحريض الاتحاد العام التونسي للشغل.

---

[42] نفسه، ص 4.

[43] سعد توفيق عزيز البزاز، نفسه، ص 23.

[44] مؤسسة فرحات حشاد، أرشيف الرئيس هولاند 6-38-p -، 19-05-1952 .

[45] لقد وجه الحبيب بورقيبة بنداء للتونسيين بعد 15 جانفي 1952 إ ثر عودته من سفر إلى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، بغرض دعم القضية التونسية أم جمعية الأمم المتحدة .أنظر : مؤسسة فرحات حشاد، أرشيف هولاند، 9- p38-6-s، تلغراف رقم 959،16/967 ماي 1952.

[46] مؤسسة فرحات حشاد، أرشيف هولاند، .UGTT/ NEO DOSTEUR 23-04-1952-P.1، ص1.

لقد عزز الاتحاد علاقته بالحزب الحر الدستوري الجديد، فبعد عودة فرحات حشاد من فرنسا في ديسمبر 1951، قام من الزيارات للزعيم بورقيبة في مدينة طبرقة التونسية، التي تزامنت مع إرسال فرحات حشاد مناشير للاتحادات الجهوية للقيام بإضرابات ومظاهرات احتجاجية. [47] ولا ننس الدور الذي قام محمود المسعدي نائب الكاتب العام للحزب الحر الدستوري مع أعضاء السيزل الفرنسي من أجل ربط علاقات مع هيئة الأمم المتحدة لأجل القضية التونسية عام 1952. كما قام المسعدي بإرسال برقية إلى السيد داوود روسي(ROUSSET DAVID) رئيس اللجنة الدولية ضد نظام معسكرات الاعتقال (C.I.C.R .C) لكي يدافع أمام هيئة الأمم المتحدة عن الثائرين الدستوريين الذين كانوا يعانون من الإجراءات الطبقة ضدهم في مراكز الاعتقال.

لقد بينت التقارير الأمنية ضلوع مناضلين وقياديين نقابين للاتحاد في أعمال عنف وتخريب ضد المصالح الفرنسة في جهات صفاقس، زغوان وقفصة والجنوب الغربي التونسي. منها الخلايا التخريبية في صفاقس، والجماعة المقاومة في جهات زغوان، التي أظهرت شعورها بالذنب للحبيب عاشور المسؤول عن أحداث 1947، وأحمد التليلي المشتبه فيه بتكوين مجموعة مقاتلة (فلاقة) في الجنوب الغربي من البلاد .[48]

غير أن الاتحاد سيطر عليه عناصر من الحزب الحر الدستوري التونسي وعناصر من جامعة الموظفين، ومن هؤلاء الكاتب العام الجديد أحمد بن صالح [49]، خلال المؤتمر الخامس للاتحاد مابين 4/2 جويلية 1954. ومساعديه عبد الله بن فرحات، أحمد التليلي، مصطفى الفيلالي، فالإتحاد وافق على وثيقة الاستقلال الذاتي في 3 جوان 1955، معتبرا أن مهامه الجديدة تقتصر على التنمية الاقتصادية على حد قول أحمد بن صالح: " بالنسبة لنا نحن الاتحاد المسألة واضحة في إطار الوحدة القومية تسطير برامج الوحدة والعمل، ونعمل من أجل اقتصاد وطني".[50]

3. البعد المغاربي للإتحاد العام التونسي للشغل:

سعى الزعيم النقابي فرحات حشاد على رأس الإتحاد العام التونسي للشغل لإقامة علاقات مع إخوانه المغاربة، إيمانا بالوحدة المغاربية بقوله : "إن هذا المشروع عزيز علينا طالما حلمنا به". وأكد عن رغبة وشعور العمال المغاربة في تكوين وحدة مغربية بقوله :"... تكوين الرابطة المغاربية لإفريقيا الشمالية أصبح مطمح كل عامل من عمال الأقطار الثلاث الذين يشعرون بوجوب تكتلهم بواجباتهم نحو أوطانهم. فخلال المحاضرة التي ألقاها فرحات حشاد بمقر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالعاصمة الفرنسية باريس بتاريخ 20 ديسمبر 1946 أكد على الروابط والاهتمامات المشتركة بين العمال المغاربة قصد التكتل في رابطة نقابية لشمال إفريقيا، تجمع العمال المغاربة، وهذه الفكرة التي ظلت تراوده عام 1947.[51]

---

[47] نفسه، ص2 .

[48] مؤسسة فرحات حشاد، أرشيف هولاند، UGTT/ NEO DOSTEUR 23-04-1952-P.2. ص3

[49] أستاذ بجامعة سوسة، رئيس شعبة وكاتب عام نقابة الأساتذة الثانويين، أمين عام لجامعة الموظفين، عضو النقابات الحرة في بروكسل. أنظر: C.D.N ;D : B-5-44 ; p.4.

[50] C.D.N ;D : B-5-44 ; p.5.

[51] سعد توفيق، مقال سابق، ص 21.

لقد بين فرحات حشاد في خطابه في شهر مارس 1947، الموجه للعمال المغاربة، بأن يحذوا حذو التونسيين، وذلك بتشكيل أول نقابة وطنية حرة، داعيا العمال والحرفيين في القطرين الجزائري والمغربي إلى تشكيل نقابات مستقلة كما هو حال للإتحاد العام التونسي للشغل، تضم مختلف فروع الوظائف والصناعات والحرف، للدفاع عن اليد العاملة في بلدان شمال إفريقيا، بقوله :'... إن حظ شغالي إفريقيا الشمالية مشرك هم يشتكون من نفس الآلام ويقاومون نفس الأعداء ... ولذا فإن الاتحاد العام التونسي للشغل أول منظمة نقابية مستقلة في شمال إفريقيا يوجه ندائه إلى كافة الشغالين الشمال إفريقيين، مهما كانت وضعيتهم لينظموا داخل نقابات مستقلة بجميع أنحاء الجزائر والمغرب... وهذه النقابات تتكون منها اتحادات جهوية ومركزيه، حتى يسرع اليوم الذي تتأسس فيه من الاتحادات الجزائرية والمغربية والتونسية الجامعة النقابية الشمال إفريقية أثناء مؤتمر تاريخي وتأخذ بيدها حظوظ شغالي أقطارنا الثلاثة (الجزائر- المغرب – تونس)."[52]

لقد تواصلت اهتمامات الحركة النقابية التونسية من أجل تأسيس كيان مغاربي مستقل كما جاء في المؤتمر الثالث في شهر أفريل 1949. بالدعوة لضرورة تكوين جبهة عمال شمال إفريقيا. وطالب الإتحاد بتأميم المؤسسات العمومية، ورفع المستوى الثقافي للمغاربة، لاسيما الجانب التعليمي. والهدف من ذلك ضرب النقابات الفرنسية التي تخدم المصلحة الاستعمارية غير العادلة في حقوق العمالة المغاربية. وربط نجاح الحركة النقابية التونسية بظهور نقابات مستقلة في الجزائر والمغرب الأقصى قصد تحيق الوحدة والنضال العمالي المشترك، للتخلص من العبودية والاستعمار المشترك. واعتبر فرحات حشاد أن الوحدة المغاربية هي واقع جغرافي، يربطها المصير المشترك لاسيما الاحتلال المفروض في تلك الفترة، ووحدة الكفاح المشترك من أجل الحصول الحرية ، بقوله في مؤتمر الاتحاد عام 1951." [53]

نتيجة تواصل الاتحاد العام مع الحركة النقابية المغاربية، فقد قامت مظاهرات وإضرابات كبيرة في الجزائر والمغرب[54]، عشية اغتياله من طرف عصابة اليد الحمراء الفرنسية يوم 5 ديسمبر 1952، الذي دعا إليها حزب الاستقلال المغربي واتحاد النقابات المغربية، وأعلن يوم 8 ديسمبر يوم حداد في المملكة المغربية، كما اتسعت حركة إضراب عمال السكك الحديدية المغاربة، خاصة في الدار البيضاء. والنتيجة الحتمية هي وفاة 500 مغربي، ومئات الجرحى، وإلقاء القبض على بعض القادة النقابيين المغاربة، منهم الطيب بوعزة ومحمد التيباري وبلعيد بن عبد الله[55]، وما تزال إلى يومنا أحد شوارع الدار البيضاء تحتفظ باسم المناضل فرحات حشاد غير بعيد عن تمثال الحاكم العام الجنرال ليوتي. وقد بين فيندوري رفيق محمد علي الحامي في جامعة عموم العملة التونسيين مشيدا بدور فرحات حشاد بعد اغتياله : بأنه خسارة للحركة العمالية الإفريقية بأنه هدفه لم يكن تونس فقط بل شمال إفريقيا.[56]

خـــــــــــاتمة :

[52] نفسه، ص 21.

[53] نفسه، ص 23.

[54] C.D.N ;D : B-5-44 ; p.4.

[55] سعد توفيق، نفسه، ص 23.

[56] C.D.N ;D : B-5-44 ; p.4 ;5.

يعتبر كل من جامعة عموم العملة التونسيين والاتحاد العام للشغل التونسي مؤسستين نقابيتين مستقلتين للتعبير عن انشغالات واهتمامات العمال التونسيين، جاءا كرد فعل عن النقابات الفرنسية التي لم تحقق آمال الطبقة التونسية الشغيلة.

لقد فشلت الجامعة في الحفاظ على وجودها في مطلع العشرينات بحلها، ونفي زعيمها محمد علي الحامي إلى الحجاز، ورغم معاودة نشاطها وتشكيليها، فإنها حلت مرة ثانية بعد أحداث أفريل 1938.عكس الاتحاد العام للشغل التونسي الذي استمر في النضال، حتى بعد نهاية الاحتلال الفرنسي لتونس. وقد تحكم في ذلك الظروف العامة التي سايرت الحركتين النقابيتين من جهة، ومن جهة أخرى اندفاع جامعة عموم العمل التونسية، ومن جهة أخرى حنكة فرحات حشاد من جهة واستناده على الحركة النقابية العالمية.

لقد استطاع الاتحاد العام التونسي للشغل إثبات وجوده منذ تأسيسه 1946 إلى يومنا هذا، وذلك باستقطاب الحركة العمالية التونسية، المبنية على أساس الاستقلال النقابي وخدمة اليد العاملة التونسية ودعم القضية السياسية التونسية خلال الفترة الاستعمارية.

استطاع الحزب الحر الدستوري الجديد التونسي السيطرة على جامعة عموم العملة التونسيين الثانية في منتصف الثلاثينات وعلى الاتحاد العام التونسي للشغل والتغلغل فيه بعد وفاة النقابي فرحات حشاد.

لم يقتصر نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل على النضال الاجتماعي، بل اهتم بالعمل السياسي وهذا ما جعله يكون على المحك السياسي، في عهد المناضل النقابي فرحات حشاد، مما جعله عرضه للتصفية الجسدية في 5 ديسمبر 1952، بعد ذلك استطاع الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد من الاستيلاء عليه، رغم الخلافات التي وقعت بينه وبين السلطة التونسية عشية الاستقلال التونسي.